مشكلة الغد القريب

الدكتور بشير العظمة

دمشق 1964

مشكلة الغد القريب

للدكتور بشير العظمة

في كتابة صينية يعود تاريخها الى أربعة قرون قبل الميلاد يصف الحكيم أوضاع المجتمع بالسطور التالية : « كان الناس في شبابي ينعمون بالرخاء والرزق وفير والبشر قليل والناس هانئون ، فلما شخت رأيت ازدياد الناس وقلة الرزق وشدة المزاحمة وزيادة الرقابة !!! » .

لقد تبدلت الأرض ومن عليها عبر هذا التاريخ الطويل ، والمشكلة التي يوجز الحكيم الصيني وصفها في كلماته ، أصبحت خطيرة تهدد الدنيا ومن عليها بالانفجار . لقد كانت مشكلة الحكيم محلية فاذا بها اليوم مشكلة الانسانية الكبرى يدرك أخطارها العالم الواعي المتطور بحساب أرقامه ، ويشعر بوطأتها مئات الملايين من المعذبين على الأرض ، يدركها الأولون ويعيش ويلاتها الآخرون .

لقد عملت الاوبئة والحروب والمجاعات ، التي ما كانت تنتهي الا لتبدأ ، فأقامت التوازن الحيوي بين الانسان وموارد الطبيعة الغذائية .

وخلال نصف القرن الاخير حققت العلوم الطبية وتطبيق الانظمة الصحية معجزة مضاعفة متوسط عمر الانسان . ومشكلة الغد القريب : الزيادة المتسارعة في عدد البشر وعجز الارض عن تقديم الكفاية لهم من الغذاء .

لقد تعرضت ولا تزال اجناس حيوانية اخرى لطفرات مشابهة كانت تتكاثر فيها دون وعي ، وتتجه دون وعي ايضاً ، منتحرة في المحيطات . كذلك تفعل اسراب الجراد واسراب الجرذان واسراب الاسماك . فهل يفعل الانسان مثلها ويسير الى قدره دون وعي منتحرا ؟!

يقدر المؤرخون عدد سكان العالم أيام السيد المسيح بـ ٢٥٠ مليون نسمة وقد اقتضى مرور ستة عشر قرنا حتى تضاعف العدد . ولم يبلغ تعداد البشر على الارض مليـاراً ونصف المليار الا عام ١٩٠٠ وبعد ٦١ سنة فقط من هـذا التاريخ تضاعف العدد للمرة الثالثة ، وتم هذا التسارع بالزيادة المذهلة بفضل الكشوف الصحية والطبية ، فأصبح عدد سكان الارض ثلاثة مليارات من البشر والزيادة السنوية بعد ذلك تسير بمعدل خمسين مليون انسان ، ويقدر علمـاء الاحصاء ان الرقم سيبلغ سبعة مليارات بعد اربعين عاما أي في عام ٢٠٠٠ القريب .

معنى هذه الطفرة أن على كل قطر في الارض متخلفا كان أم متطوراً أن يضاعف خلال الاعوام الاربعين القـادمة من عدد المساكن والمدارس والجامعات والشوارع ووسائل النقل والمستشفيات والفنيين والاداريين اللازمين لـكل ذلك . ويضاعف خاصة من انتاجه الغذائي ، كل ذلك ليحتفظ فقط بمستوى العيش الحـالي لمواطنيه ، وليس أو يهمل كاملا تطلع الجيل الحاضر والاجيال القادمة لتحسين احوالها المعاشية . فان لم توفق اقطار الارض ، كل منها بوسائله الخاصة وأمام مزاحمة قاتلة لاترحم ، اذا عجزت هذه الاقطار ، وخاصة المزدحمة والمتخلفة منها حاليا ، عن ادراك ذلك فان ارضها الوطنية ستتفجر ويتفجر العالم معها .

ان الخطر الذي يتهدد العالم اليوم ليس في زيادة عدد سكانه ولكن في تبـاعد وازدياد الفوارق بين مجتمعات متطورة واكثرية بشرية متخلفة .

قال ماركس في القرن الماضي : « علم الاقتصاد هو علم البؤس البشري » .

ان تسع عشرة دولة من بلاد العالم الغني يصل دخلها الى ٧٠٪ من دخل العالم ولا يزيد عدد سكانها عن ١٦٪ من سكانه وبالمقابل لايزيد دخل خمس عشرة دولة من أفقر بلاد العـالم وعدد سكانها ٥٠٪ منهم لايبلغ دخلهم سوى ١٠٪ فقط من دخل العالم .

هذه هي الصورة المفزعة لعالم الغد : تبـاعد متسارع في العدد وفي مستوى العيش بين المتخلفين والمتطورين .

يقول نهرو : وليس الجوع جديدا في الهند ولكن يقظة الضمير الهندي على واقع بؤسه هو الامر الجديد والخطير على الارض القديمة .

ويقول رومان رولان Romain Rolland : لابطولة في العالم اليوم الا برؤية العالم كما هو قائم فعلا ، لا كما تريد ان يكون ، وان تحب بعد ذلك هذا العالم وتعمل فيه ؟!

أستعيد قول الحكمة الصينية التي بدأت بها حديثي لاذكر بأن لاوجود لعالم بدون مشاكل ومتاعب واني في حدود هذا التفكير الواقعي الواعي لمشاكل العالم أساهم بكلمتي لاعرض الخطوط العريضة للمشكلة القديمة الجديدة والتي تبدو حادة وخطيرة في صورة أرقامها في واقعها وفي تناقضاتها .

١ — انفجار الجنس البشري :

كم يمكن للارض ان تستوعب من البشر دون ان يهددهم الجوع ؟!

يجيب Colin Clark الاقتصادي المعروف فيقول : يمكن للارض أن تستوعب خمسة عشر ملياراً من الناس دون خوف الجوع . ويشترط لذلك أن يكون الجنس البشري بكامله في مستوى علمي وتقني قادر على استثمار الارض بالشكل الافضل ، اي على المستوى الارفع في هولندا والولايات المتحدة في الوقت الحاضر مثلا ؟!!

ومتى سيبلغ الجنس البشري في تعداده هذا الرقم ؟!! يؤكد علماء الجنس البشري Demogroqhie ان الانسان سيتجاوز هذا الرقم عام ٢٠٥٠ ويرى بعضهم ان عدد سكان الارض سيبلغ في هذا التاريخ ٢٢ مليار نسمة . وتتحفظ الامم المتحدة فتحدد رقم سكان الارض عام ٢٠٠٠ بسبعة مليارات فقط . ولنبق مع المحافظين ولنعلم بأن عدد سكان الارض في نهاية عام ١٩٦٣ هو ثلاثة مليارات و ٢٠٠ مليون انسان .

ولنرجع الى التاريخ نستقصي الوقائع : لم يبلغ تعداد الجنس البشري المليار من الانفس الا خلال عدة ألوف من الاعوام اي حوالي عام ١٨٥٠ « تاريخ البشرية على الارض يعود لمليون سنة تقديرا » . وكانت زيادة الجنس البشري بطيئة جدا قبل ذلك . وسبب هذا البطء : أمراض الطفولة والأوبئة والمجاعات وحروب لاتنقطع .

بعد ثمانين عاما من ١٨٥٠ اي في عام ١٩٣٠ بلغ عدد سكان الارض مليارين وبعد ثلاثين عاما اي عام ١٩٦٠ بلغ الرقم ثلاثة مليارات وسيبلغ الرقم أكيدا اربعة مليارات عام ١٩٧٥ والمخطط بجانبه يظهر تسارع الزيادة الكبيرة .

في أيام الحربين العالميتين اوما بينهما ، وفي سعير اندفاع الانسان يتفنن في ابتكار وسائل القتل والتدمير ، وحفاظا على أرواح الشباب الذين لايسمح لهم بالموت الا بالرصاص وبالنار ،

عرف العلم اهم اللقاحات ومبيدات الحشرات وقاتلات الجراثيم كما عرف اسباب الوقاية من المرض فانتشرت اساليب حفظ الصحة وتم النصر على عدد من الامراض .

في عام ١٧٩٨ نشر مالتوس كتابه The Crisis ،وعرف الاقتصاد السياسي كعلم يدرس في الجامعات . قال مالتوس نظرية جاء فيها ان سكان العالم يتضاعفون كل ٢٥ سنة وفق متوالية هندسية ، بينما تنمو وسائل العيش وفق متوالية حسابية . وانتهى من ذلك للاستنتاج بأن التطوير الاجتماعي لايمكن أن يكون حلا للمشكلة ، واعترف مالتوس ضمنا بان الحرب ضرورة حتمية لابادة الزائد من البشر وقرر ضرورة تحديد النسل على مستوى عالمي !!!

لقد اثبت الواقع بعد ذلك خطل نظرية مالتوس في تنبؤات أرقامه فانها لو صحت لكان عددهم عام ٢٠٠٠ ثلاثمئة مليار اي أن الفرد الواحد يجب ان يعيش على مساحة لاتزيد عن طوله ؟!!

لقد وضع مالتوس نظريته في منتصف القرن الثامن عشر في فترة كان يسود فيها البؤس والشقاء سواد الشعب في بريطانيا ، واراد بقوله هذا ان يرد على وليم غودوين الاشتراكي ، الذي كان يعزو البؤس الى سوء نظام التوزيع في الانتـــاج . فنظرية مالتوس وجدت لمناهضة آراء المصلحين الاجتماعيين واعتبر الاوبئة والحروب نعمة سماوية لابد منها .

تؤكد المالتوسية بأن كل انسان يولد في عالم مزدحم لن يجد طعاما له ، وان الطبيعة تطلب اليه ان يرحل الى العالم الآخر ، واذا تأخر في الانصراف فان المصير محتوم !!

لم يكشف التاريخ خطل نظرية مالتوس في استنتاجه العددي فحسب بل وفي استنتاجه الاقتصادي والاجتماعي ايضا ، فانه رغم انقضاء قرن ونصف على قوله هذا ، فان مستوى العيش لايزال يرتفع اطرادا وفي جميع انحاء العالم ، وخاصة في بريطانيا « موضوع تنبؤات مالتوس » بفضل الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي ورغم زيادة السكان .

لقد تعرضت بقاع من الأرض للزيادة الكبيرة في سكانها منذ القرن التاسع عشر وأعني بها أوروبا الغربية ولا تزال هذه المنطقة من العالم أشد ازدحاما من غيرها ولم تنفجر الارض ولم يعم الخراب فما هو مصدر الخطر في الزيادة التي تواجه العالم اليوم ؟!!

عودة الى التاريخ الحديث لنتابـع ماجرى في اوروبا الغربيـــة وكيف عالجت داء التضخم البشري :

لقد كان متوسط عمر الانسان في القرن الثامن عشر ٣١ عاماً تقريباً في كل من انكلترا وفرنسا والسويد . وارتفع المتوسط حتى بلغ ٤١ عام في القرن التاسع عشر .

فزيادة السكان كانت نتيجة لنقص الوفيات عن الولادات رغم أن عدد المواليد بقي ثابتا دون زيادة .

وقد كان رد الفعل لهذه الزيادة غير المنتظرة في السكان أن بدأت موجة الهجرة الى ماوراء البحار واستقبلت امريكا واوستراليا وافريقيا الجنوبية ما يقدر بـ ٢٧ مليون انسان . وبـــدل الزيادة في اعداد البشر القاطنين في البـلاد الاسكندنافية ظهر نقص في السكان بلغ ثلاثين ملايين عـام ١٩١٥ .

ورغم معارضة الكنيسة والدولة كان الاجهاض وكذلك الزواج المتأخر أو الزواج بدون أطفال هي وسائل العائلات لتحديد النسل . وفي عام ١٩٣٠ كانت نسبة المواليد أقل من الوفيات. وبدا الوضع وكأن هذه الشعوب في طريقها الى التضاؤل العددي .

وعسير علينا أن نعزو هذه الردة الى عامل محدد واضح ، فان خوف الفقر ، وانتشار فكرة متعة الانسان الفرد بحياته ، دون مسؤوليات الاطفال وتنشئتهم ، وطبيعة الثورة الصناعية التي بدلت وبشكل جذري العلاقات بين البشر وخاصة في الوسط العائلي ، ونقص الوفيـــات بين الاطفال ، والاندفاع وراء المزيد من الضمانات المالية وتجميع رؤوس الاموال ، كل ذلك ساهم في الحد من زيادة عدد الاولاد . وكان من نتيجة الوعي المسؤوليات والاوضاع الجديدة أن تأخر سن الزواج وحددت العائلات تلقائيا عدد اولادها .

فاذا استعرضنا اوضاع البلاد الصناعية المتطورة نشاهد أنها جميعاً تعرضت لزيادة في الانسال ثم الى تحديد عفوي أعقب ذلك ، عدا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيـاتي حيث يشعر الانسان العادي أن الارض الواسعة والثروات الكبيرة ستترك المواليد وحتى المهاجرين القادمين المـكان الضروري لعيشهم على الارض .

وبشكل عام يلاحظ في الشعوب المتطورة في اوروبا وشمـــال امريكا وجنوب افريقيا واوستراليا واليابان ان تسارع زيادة البشر مرتبط بالظروف المعاشية وازدهار الاقتصاد وركوده.

فما هو وضع الشعوب المتخلفة ؟

تتعرض هذه الشعوب لزيادة متسارعة في اعدادها وخاصة منذ عام ١٩٣٠ وتبلغ الزيادة البشرية في هذه البلاد ضعف زيادتها في البلاد المتطورة .

ومعنى ذلك ان الشعوب الافقر تزداد فقراً وتعاسة والآخرون يزدادون غنى ورفاهية والعالم يصغر ويصغر في ابعاده الجغرافية والفكرية . وهذه هي معضلة الانسانية الكبرى التي يواجهها جيلنا الحاضر .

يبلغ تعداد الكهول القاطنين في البلاد المتخلفة ٦٩٪ من سكان الارض ويعيش على ارض المتخلفين ٨٠٪ من اطفال الارض ايضاً .

فاذا فرضت عدالة توزيع الانتاج قواعدها على الارض كوحدة ، فمعنى ذلك ان البشر على الارض الى فقر وشقاء . والزيادة الكبيرة في سكان البلاد المتخلفة يعني تعقيدا ان لم يكن استحالة في امكانيات تطويرها الاقتصادي .

كيف يمكن تعليل أسباب زيادة البشر في بلاد المتخلفين ! ؟

يقول البعض أن البلاد المتخلفة تجتاز مرحلة زمنية تشبه مرحلة القرن الثامن عشر في اوروبا حيث نقصت الوفيات ثم عاد الميزان البشري للاعتدال بعد ان استقرت الثورة الصناعية بمفاهيمها وعلاقات البشر الجديدة . وان الانسان في البلاد المتخلفة سيواجه مشاكله وسيجد حلولا عفوية لها .

قبل الاسترسال في القول بأن التاريخ يعيد نفسه علينا ان ندرس الظروف الجديدة القائمة في العالم اي أن ندرس الوضع كما هو لا كما نتمنى أن يكون .

ان زيادة السكان في البلاد المتخلفة أعلى بكثير مما كانت عليه الزيادة في بدء القرن الثامن عشر في اوروبا فلم تتجاوز الزيادة في الغرب ١٥ في الالف من السكان سنويا بينما بلغت الزيادة ما بين ١٩٥٠ — ١٩٦٠ ، ٣١،٥ في الالف في تايوان و ٢٦،٨ في سيلان و ٣٢،١ في ماليزيا و ٢٧،٧ في البانيا و ٣١،٨ في المكسيك و ٣٣،٩ في السالفادور و ٣٧،٧ في كوستاريكا . وليست هذه الارقام للولادات ولكنها للزيادة الصافية بين الولادات والوفيات . والشعب الذي يزداد بنسبة ٣٠ في الالف يتضاعف عدده خلال ٢٣ سنة فقط .

ما هي اسباب الزيادة ؟ الصحة ام الاقتصاد ؟

لقد حدثت زيادة مماثلة في عدد من البلاد المتطورة في بدء تطويرها الاقتصادي والفكري ولكن الزيادة في هذه البلاد تمت بعد التطور الاقتصادي لاقبله كما يحدث في البلاد المتخلفة اليوم .

ففي بريطانيا مثلا بلغت الزيادة ذروتها بعد ان تم التطوير الصناعي لهذه البلاد ولم تكن عندئذ نسبة العاملين في الزراعة من الكهول اكثر من ٢٠٪ منهم . والعكس تماما هو مايقع في البلاد المتخلفة التي تتسارع زيادة عدد سكانها حيث لاتزيد نسبة اليد العاملة في الصناعة فيها عن ١٥٪ من اليد العاملة .

ان سبب الزيادة في عدد السكان في البلاد المتخلفة نقص الوفيات . ففي جزيرة موريس مثلا « في البحر الهندي » ارتفع متوسط العمر من ٣٣ الى ٥١ سنة ولم تتوصل السويد الى بلوغ هذا الرقم الا خلال ١٣٠ عاما بينما بلغته جزيرة موريس خلال الاعوام الثانية التالية للحرب فقط . وازداد متوسط العمر في تايوان من ٤٣ الى ٦٣ سنة خلال عشرين عاما ولم يبلغ متوسط عمر الرجل الابيض في الولايات المتحدة هذا الرقم الا بعد ثمانين عاما .

ومن أجل تعليل اسباب النقص في الوفيات يتبادل الاقتصاديون والصحيون الاتهام كل منهم يريد ان يتهرب من مسؤولية تعقيد المشاكل الاجتماعية والاقتصادية . يقول الاولون ان الطب الوقائي والادوية والقضاء على الاوبئة هي الاسباب المباشرة لزيادة متوسط العمر ويقول الآخرون بل ان ارتفاع مستوى العيش في الطعام والاسكان واللباس وشروط العمل .. الخ هي التي زادت من مقاومة البشر على الامراض وانقصت الوفيات .

يؤكد الواقع ان تطبيق الوسائل الصحية والدوائية وكفاح الاوبئة هي الاسباب المباشرة لنقص الوفيات . وان بالامكان ان ترتفع بمتوسط عمر الانسان الذي لايزال يعيش في العصر الحجري اذا طبقت على هذه المجتمعات اساليب الصحة والطب ودون ان تنتظر تطورها الاقتصادي والمعاشي .

ومرة ثانية نأخذ مثلا جزيرة موريس حيث هبطت حصة الفرد وسطيا من الانتاج مابين عامي ٥٣ ـ ١٩٥٨ بنسبة ١٣٪ ومع ذلك تراجعت الوفيات بنسبة ٣٦٪ وفي احصاء مقارن لخمسة عشر بلدا متخلفا نلاحظ ان تناقص الوفيات يتراوح حول رقم ٤ ٪ سنويا بينما التطور الاقتصادي بزيادة الدخل يختلف في هذه البلاد مابين ٦٪ سنويا وصفر .

وعليه فان تطبيق التعاليم الصحية والمعارف الطبية هي السبب الرئيسي لنقص وفيات البشر. ففي القرنين السابع والثامن عشر كانت زيادة العدد البشري تالية للازدهار الاقتصادي بينما نلاحظ اليوم ان زيادة البشر في البلاد المتخلفة عائق كبير في تطوير اقتصادها وازدهاره .

٢ ـ واقع الغذاء عالميا :

لنبدأ اولا بتعريف معنى الجوع . ليس المهم ان تمتلىء المعدة بالتافه من الطعام بل لابد من ان نوفر للجسم الانساني كفايته من البروتينات والفيتامينات والاملاح المعدنية بالاضافة الى السكريات والدهون . يؤدي النقص الغذائي الكبير على مدى الاجيال الى تخلف صحي ونقص متوارث في القوى الجسمية والفكرية والقدرة على الانتاج .

لامجال في الطب كما في العلوم الاجتماعية للحتمية Determinisme ولابد من قبول الاحتمالات Possibilisme والمرض لايسببه عامل واحد غالبا بل تتداخل أسباب المرض الظاهرة والخفية لتسبب المرض والموت أحيانا . والعوز Carence لايبدو بعلامات واضحة الا اذا وجدت ظروف مساعدة وهذا مايدعى بالاحتمال الحيوي Possibilisme biologique . فللظروف المناخ والعمل والحالة النفسية وغيرها اثر كبير في زيادة او ضعف مقاومة الافراد والجماعات تجاه العوز كما تؤثر في ذلك العادات والتقاليد الغذائية .

لقد نشر ٦٠٠ من اطباء الانكليز عام ١٩٣٩ دراسة عن آثار الجوع المرضية في

Ghishire « علماً بأن بريطانيا بلد متطور » تحت عنوان الوصية الطبية Testament medical وتؤكد هذه النشرة ان عدداً كبيرا من الامراض سببها سوء التغذية ونقص عناصرها الاساسية والا فكيف نفسر علمياً سبب وفيات تبلغ ٢٢٠ في الالف في البلاد المتخلفة ، بينما لاتزيد وفيات المتطورين عن ٢٠ في الالف فقط ؟ ! وكيف ينتشر السل والبلهارزيا والانكلستوما وغيرها من الطفيليات والجراثيم بين المتخلفين ولاتصيب الا نادرا المتطورين وحتى الذين يعيشون في نفس الظروف المعاشية .

لقد انهزم السل في الولايات المتحدة حتى قبل وجود ادوية وبفضل مستوى العيش الرفيع .

والخلاصة تبلغ وفيات البشر سنويا ٦٠ مليون نفس ، ويقدر عدد الذين يموتون من الجوع المزمن بالحرمان المباشر او غير المباشر بـ ٣٠ ـ ٤٠ مليون نسمة . فالجوع اخطر وباء على الارض . ان ٥٨٪ من سكان الارض يحصلون على اكثر من ١٠ غرامات وسطيا في اليوم الواحد من البروتين الحيواني وهو مقدار دون ضروراتهم الحياتية « احصاء منظمة التغذية والزراعة F . A . O » .

لايزال تركيب الاغذية كيميويا محاولات مخبرية لم تطبق في المجال العملي ، وعليه فالبشرية تعتمد في تغذيتها قصرا على ماتنتج الارض . انا كر (١) واحد من الارض الزراعية يكفي لتغذية انسان ، ومساحة الارض المزروعة فعليا في العالم اجمع تزيد عن اربعة مليارات اكر ، فلا داعي نظرياً لوجود الجوع على الارض لو تم توزيع الانتاج بحسب الحاجة ؟!

على مستوى التفكير الطوبائي النظري لالزوم للجوع ، ومع ذلك اذاعت منظمة الزراعة والتغذية تقريرا عام ١٩٦١ ينبه لاخطار بقاء ثلثي سكان العالم تحت تهديد الجوع الكيفي والكمي ايضا .

تؤكد تقديرات هذه المنظمة العالمية ان زيادة السكان في الشرق الاقصى « عدا الصين الشعبية » بلغ خلال الاعوام الخمسة عشر الماضية ٣٠٪ من تعداد سكانه بينما لم تتجاوز زيادة الانتاج الغذائي في هذه البلاد عن ٢٥٪ خلال الفترة نفسها والفارق وهو ٥٪ يعني هبوط في مستوى التغذية اي مزيد ايضا من الجوع والجياع .

فما سبب الجوع تاريخيا واقتصاديا واجتماعيا

سكان الارض بشر لاملائكة والتاريخ في قصصه الطويل صراع مستمر من اجل السيطرة وكان ان انتقل مركز القوة والعلم الى الغرب وبدأ عهد الاستعمار المعاصر عام ١٤٩٨ برحلة فاسكودي غاما ، بدأ بتجارة التوابل ثم بتجارة الرقيق ثم بتجارة الافيون وتجارة المحاصيل

(١) الاكر ٤٨٤٠ يارداً مربعاً أي مايعادل اربعة دونمات تقريبا .

الزراعية والمواد الخام والسخرة في المناجم واخيراً بالشكل الجديد من الاستعمار الاقتصادي . وكانت جميع اساليب الاستنزاف والاستثمار مغلفة بمبررات التمدين والتعاون والانسانية. وجابهت شعوب الارض الغزاة المستعمرين وقامت حروب التحرير وجلت جيوش الغاصبين وحقق عدد كبير من بلاد الارض في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الاول من العشرين استقلالها الوطني دون الاستقلال الاقتصادي .

ولم يحقق الاستقلال السياسي النعيم للشعوب فقد مضى على استقلال دول امريكا اللاتينية اكثر من قرن ولا يزال واقع هذه الاقطار الاقتصادي والاجتماعي يؤكد بانها مستعمرات .

حديث قصة الاستعمار ورسالة المتمدنين المتخلفين التي تركت ثلثي العالم جائعاً قصة طويلة تحكي فصولها مآسي البشرية وآلامها منذ اربعة قرون وحتى الآن . انه هو الاستعمار ايضا الذي انسحب بجيوشه ولكنه لايزال يستثمر ، وتزيد بنتيجة كل ذلك أبعاد واعماق المعضلة الكبرى . وحتى يومنا هذا تزيد الدول المتطورة دخلها القومي بنسبة تتراوح بين ٨ـ١٢٪ سنويا ولايرتفع الدخل القومي للبلاد المتخلفة سوى ٢ـ٤٪ فقط أي ان الشقة ايضاً بين المتطورين والمتخلفين الى زيادة لا الى تقارب ، الاغنياء يزدادون ثراء والفقراء يزدادون عددا ويزدادون فقرا .

فاذا اعترض قارىء يشعر بالغثيان من كثرة ماسمع بكلمة الاستعمار !! وتساءل اين هو هذا الاستعمار ونحن لانرى السوط في يده ولا البندقية على كتفه فجوابي اليه :

انه الاستعمار الجديد Néo - imperilism

وهو نظام دقيق عالمي تمثله احتكارات دولية International تتسلط على موارد الثروة في العالم وتفرض الاسعار والاجور لتضمن تدفق ارباح استثماراتها الى ارضها الوطنية . انها وراء انتاج المعادن والنفط وراء سوق القطن العالمية والبن والسكر واليورانيوم والماس وغيرها . والبورصة العالمية تعطي وتمنع ، تزيد من ثراء المنعمين ومن فقر المحرومين .

تتحكم امبراطورية النفط العالمية بمصائر عدد كبير من شعوب الارض المنتجة للنفط وتسيطر هذه الشركات بآبارها وناقلاتها وتوزيعها وصناعاتها الكيموية على ثلاثة اخماس مافي العالم من نفط مكتشف وعلى نصف معامل التكرير ووسائل النقل .

يقدر رأسمال امبراطورية النفط بـ ٣٧ مليار دولار فأية قوة وطنية قادرة على الصمود بمفردها امام هذا المارد ؟!

ولنتابع بهدوء وتجرد مصير المناصفة في ارباح النفط المستخرج من الارض الوطنية .

ان النصف الذي يدفع للحكام يخلق في البلد المتخلف طبقة ترتبط مصالحها ببقاء الاستثمار فهي شريكة له وحليفة .

تستثمر هذه الطبقة من الحكام والتجار اموالها بأحد الطرق التالية : اولا تودع المبالغ الكبيرة منها في مصارف بعيدة عن الحدود الوطنية بفوائد رمزية ودائما في البلاد المتطورة حيث لرؤوس الاموال دور كبير في دوران وتطور الصناعة . ثانيا : استثمارات عقارية بعيدا عن الارض الوطنية وفي بلاد تضمن لها سيولة الحركة عند اول اشارة ، ثالثاً : استثمارات تجارية في المجال الوطني فتستورد من بلاد المتطورين ايضا سلعا استهلاكية : سيارات ، برادات ،مكيفات وما اليها . وحصيلة الطرق الثلاثة في الاستثمار ان نصف ارباح النفط ايضا تعود لتلحق النصف الاول لتزدهر بها ايضا صناعات المتطورين وتزيد من مكاسبهم . ولا يبقى للذين يعيشون فوق الارض التي تزخر بالنفط الا غلاء العيش وفتات الموائد .

آبار النفط شرايين مغروسة في الارض العربية تمد المتطورين بالقدرة اللازمة لآلاتهم وتنصب ارباحها بكاملها فيما وراء البحار ! !

نشرت مجلة Petrolium Outlook تشرين اول ١٩٥٧ ان ارباح رأس المال المستثمر في صناعة النفط في الولايات المتحدة لاتزيد عن ٢٠ ٪ أما أرباح رأس المال في نفط الشرق الاوسط فتبلغ ١٠٠ ٪ ؟ !

وقصة الاستعمار مع الرقيق الاسود صفحة سوداء من تاريخ الانسانية . سيق الانسان المختلف لونه الى امريكا ليعمل في الحقل بدل البهائم . سيق بالسوط وعمل لقاء طعامه عدة قرون فلما تعالت صيحات الانسانية الغي الرقيق فيما بين نهاية القرن الثامن عشر ومنتصف التاسع عشر (صدر قانون تحريم الرق في انكلترا عام ١٨٠٨ وفي الولايات المتحدة عام ١٨٦٥) وبقيت التفرقه العنصرية حيث لاتزال الحاجة ماسة لطبقة تقوم بالاعمال المنهكة او القذرة . وفي افريقيا سيق العبيد الى المناجم في جنوبي افريقيا من مستعمرات البيض بالسوط اولا فلما ألغي الرقيق والسخرة في منتصف القرن التاسع عشر عمد الرجل الابيض الى الحيلة ليسوق المزيد من العمال الى جحيم المناجم فكان قانون الضريبة على الرأس الانساني وكانت عقوبة الهاربين من ضريبة ٢٥ دولاراً سنويا ان يساقوا الى السجون والى الاشغال الشاقة بحكم القانون وكانوا يكدسون الألوف منهم فوق الألوف في معسكرات الاعتقال ونظمت احتكارات المناجم وسائل تجميع ونقل البضاعة الانسانية في جميع انحاء افريقيا الى جنوبها . يعمل الافريقي في ظروف بالغة القسوة يقضي سنتين في معسكرات للعمل فلا يرى نور النهار الا كل سبعة ايام خوف ان يحمل في جيبه حجراً ثميناً فاذا قضى سنتين في هذه المعسكرات ولم يقتله السل او الزحار او التسمم الكحولي مع سوء التغذية عاد الى اهله وقد أنفق جميع الأجر الذي كسب في ثمن طعامه وسكنه للشركة المستثمرة للمناجم نفسها وعلى رأسه قبعة عالية ذات ألوان زاهية وعلى كتفيه أسمال بالية من ألبسة الجنود القديمة . يعود وفي جيبه ما يسدد عنه ضريبة الرأس للسنتين القادمتين ويواجه

بعدها مشكلته الجديدة ولا خيار له اما ان يعود الى العمل في المنجم او يهرب شاردا في الغابات فريسة للذئاب ـ والوحوش . وهكذا يعتصر البيض عروق السود لتزدهر وتبقى رابحة مناجم الماس والذهب والفضة والنحاس وغيرها في الكونغو وفي جنوب افريقيا .

وبعد الحرب العالمية الاولى ارتفعت صيحات الانسانيين في العالم ، فاستبدل الاستعمار علم الاستثمار ؛ وكانت التفرقة العنصرية : احياء معزولة ومناطق محرمة واجور محددة وسوط وسجون بديلا وحيدا عن العمل في المناجم ، وتتحدى جنوب افريقيا العالم حتى اليوم وتمعن في اضطهادها واذلالها للافريقيين وكذلك يفعل البرتغاليون .

وتضطر الامم المتحدة ان ترفع علمها في الكونغو لحماية مصالح احتكارات المناجم والمعادن ولتحمي اوتبدل من صنائعهـــا الافريقيين الذين يضمنون لها استمرار استثماراتها البالغة عدة مليارات من الدولارات .

لقد اغلقت مناجم الماس والذهب في الولايات المتحدة لأن استثمارها كان خاسرا اقتصاديا بينما تبقى ارباح استثمارات مناجم جنوب افريقيا رابحة لأنها تعتصر دم الافريقيين وعرقهم .

لقد خسرت الدول المتطورة اذ تنازعت السلطة والارض في المستعمرات وكان لخلافاتها فضل في تحرر المستعبدين . فقامت في استعمارها الجديد تتعاون وتتضامن بدلا من ان تتنافس في الاسواق العالمية . وليست السوق الاوروبية المشتركة وسوق المبادلات الحرة الا شكلا من تكتل الاقوياء تجاه صيحات الجياع .

انهـــا تستهدف جميعا شراء المواد الخام والمنتجات الزراعية بأبخس الاسعار وبيع السلع الصناعية بأعلاها . وتهرب رؤوس الاموال ، المكدسة في بنوك الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتطورة ، لتستثمر في شركات الفواكه والمناجم والصناعات في دول امريكا اللاتينية والكونغو والشرق الاوسط ، تهرب من الضرائب ومن غلاء اليد العاملة لتستثمر كل شيء في البلاد التي تغزوها ومنهـــا الانسان . وتبقى الصناعة الدقيقة وأرباح رأس المال تتدفق لتصب الخيرات في صناديق اصحاب البنوك بعيدا وراء البحار .

ان مشكلة العـــالم الكبرى في زيادة عدد البشر وتناقضات المجتمعات الانسانية هي نتيجة طبيعة لجموح الغرائز الانسانية ورغبتها التي لاتشبع بالاستزادة ، وان الاندفاع غير الواعي وراء الرغبات الغريزية الانانية الجشعة جعلت عالم اليوم في وضع قلق شامل وتناقضات خطيرة .

قال بومبيدو في الجمعية الوطنية الفرنسية « ١١ حزيران ١٩٦٤ » تفيد الاحصاءات بأن الهوة لاتزال تتسع بصورة هائلة بين عالم الاغنياء كثيرا والفقراء كثيرا الى حد أن النسبة بين الهندي والفرنسي كانت قبل الحرب الاخيرة واحدا الى خمسة عشر فأصبحت الآن واحدا الى تسعة وثلاثين . وان معدل دخل الفرد في الدول المتقدمة يقدر بحوالي ١٨٠٠ دولار بينما هو في الدول

المتخلفة لايزيد عن ١٣٠ دولار علماً بأن توزيع الثروة في الدول المتطورة اقرب للعدالة مماهو عليه في الدول المتخلفة .

ويستطرد بومبيدو فيقول : اذا لم تزد وتزد الدول المتطورة من مساعداتها للدول المتخلفة فان ذلك سيؤدي عام ١٩٨٠ الى رفع دخل الفرد في الدول المتطورة الى ثلاثة آلاف او اربعة آلاف دولار بينما يؤدي الى تخفيض دخل الفرد في الدول المتخلفـة الى ٨٠ دولار فقط أي الى اكثر قليلا من نصف ماهو عليه الآن ؟!!

حركة سريعة الى الامام بين المتطورين ونكسة راجعة بنفس السرعة نسبة للمتخلفين .

وقد ختم بومبيدو كلمته بالتحذير التالي : يؤكد لنا التاريخ ان البشر لايتحملون طويلا الظلم والشقاء ومؤتمر باندونغ أظهر بشكل صارخ أن المتخلفين بدأوا يفتحون عيونهم على واقعهم ويوم يتحرك موكب الجياع ستختفي حضارتنا ونختفي نحن معها ؟!!

ورغم هذا الكلام الواعي لواقع العالم تقف فرنسا مع الدول المتطورة جبهة واحدة امام المتخلفين في مؤتمر التنمية للتجارة الدولي في جنيف ويفشل المؤتمر امام جشع المتخومين .

٣ ــ فما هي حدود وعمق هذه التناقضات في الاعداد وفي الموارد ؟

أولا : واقع العالم اليوم انه فريقان، ثلثا سكان الارض شعوب متخلفة والثلث الواحد متخم وسيصبح ثلاثة ارباع العالم عام ٢٠٠٠ متخلفين وجياعاً . سيبلغ تعداد سكان آسيا بعد اربعين عاما ٦٠٪ من سكان الارض بينما لاتزيد نسبتهم حاليا عن ٥٢٪ ولن يكون في اوروبا من سكان الارض اكثر من ١٠٪ فقط بينما كانت نسبتهم عام ١٩٦٠ ، ١٤٪ .

ثانيا : يزداد شباب العالم المتخلف ويشيخ سكان العالم المتطور . ستكون زيادة عدد الذين تجاوزوا سن الستين بعد عشرين سنة ٤٢٪ من السكان بينما الزيادة العامة في هذه البلدان لاتتجاوز ١٨٪ . تتحمل البلاد المتطورة وبيسر المزيد من شيوخها غير المنتجين ، ولكن مصير الشيوخ ومتوسط عمر الانسان في البلاد المتخلفة في زيادة مطردة ؟ !

ثالثا : **اضطراب النسبة بين سكان المدن والريف** نتيـــجة لتباين الاجور وتباين مستوى العيش بين الصناعة والزراعة . ففي جميع انحاء العالم زيادة في عدد سكان المدن ونقص نسبي في سكان الريف . لقد طردت الآلة العامل الزراعي من الارض لتستقبله المدينة عاطلا او عاملا في ضواحيها ، يهجر الجيل الجديد القرية الى المدينة تستهويهم انوارها ليعيشوا على فتات الموائد او حياة التسكع والاجرام والانحراف . وتبدو البطالة السافرة او المقنعة « اعمـال غير منتجة في الوساطة والتجارة والنقل » لتزيد من اكلاف الانتاج وارتفاع الاسعار وتباعد مستوى العيش بين المدينة والقرية .

تقدر الامم المتحدة عدد المهاجرين من الريف الى المدينة في الهند مابين اعوام ١٩٦٠ - ٢٠٠٠ بـ ٩٩ - ٢٠٠ مليون انسان . وستضم المدن الكبيرة في الهند اعداداً من البشر قد تصل الى ٣٦ مليون او ٦٦ مليون اذا استمرت الهجرةعلى معدلها الحالي . وظاهر الهجرة من القرية الى المدينة من اخطر ماتواجهه الدول المتخلفة من مشاكل تأمين العمل والسكن والوسائل الصحية ومكافحة الانحراف والاجرام .

رابعاً : زيادة في عدد الشيوخ والعاجزين .

ان استمرار ارتفاع ارقام الشيوخ العاجزين عن الانتاج يرهق المجتمعات بأعباءاقتصادية واجتماعية بالغة الاهمية . ومشكلة زيادة عدد الشيوخ والعاجزين منهم خاصة معضلة اجتماعية اقتصادية خطيرة حتى في بلاد المتطورين .

خامساً : يتناسب عدد الاطفال عكساً مع دخل الافراد والعائلات ، فالفقراء اكثر انسالا من المنعمين « ان مائدة الفقير فقيرة ولكن فراشه خصب » .

وكذلك يتناسب عكساً مع مستوى الوعي والمسؤولية . ان طبقة الموظفين مثلاً أقل اولاداً من غيرهم من العاملين بالأجر . ومتوسط عدد اطفال العمال الجزائريين فيفرنسالايزيد عن ولدين . الطفل في المجتمع الزراعي يد عاملة تزيد من دخل الاسرة ، واكلاف هذه اليد أقل من حصيلة انتاجها . وعليه فالطفل مربح في الاقتصاد الزراعي البدائي طبعاً ، بينما يكون الطفل في المجتمع الصناعي عبئاً على الاسرة في السكن والطعام والمدرسة والجامعة . وحتى في العمل الزراعي توفر الآلة للمتطورين مايريدون وشراء الآلة ارخص من تربية الطفل . وهكذا تسعى العائلة في المجتمع الصناعي للتخفيف من كثرة الاولاد وتبقى الاستجابة في حدود غرائز الابوة والامومة .

وبعد ، هذه هي الصورة للتناقضات البشرية .

٤ - فماذا عن تناقضات الارض الصالحة لانتاج الغذاء :

اولاً : وكما تفجر الجنس البشري على الارض انفجر الفكر الانساني

في البلاد المتخلفة : ثورة حقيقية طموحة تريد ان تختصر القرون بسنوات ، بطفرة ، تريد أن ترفع من مستوى عيش المتخلفين ليلحق بركب الانسانية الكريمة .

يقول انشتاين : « لابد للعالم من أن يبدل من تفكيره بعد أن تبدلت وسائل العيش وتبدلت جذريا علاقات البشر ، فان لم يفعل فان الفوضى والخراب مصير الحضارة التي نعيشها والتفكير الجديد لابد وان يعتمد على الواقع الجديد بعيداً عن القوالب الفكرية المسبقة » .

كانت ردة الفعل Reaction في البلاد المتخلفة المستعمرة او المستثمرة بعد ان تحررت سياسياً ، ان في سياسة التسلح منعتها وقوتها .

ألم يكن السوط والبندقية اداة المستعمرين في استنزاف خيرات ارض المتخلفين ؟افليدافع المتخلفون بالسلاح عن ارضهم الوطنية !!! لقد باع المتطورون سلاحاً للمتخلفين كما باعوهم آلات ومصانع لم تعد رابحـــة نسبة لهم !! « انوال النسيج ، مصانع الاسمنت وغيرها » واحتفظوا لانفسهم بالصناعة الدقيقة والسلاح المتطور دائماً . فكان سباق تسلح الشعوب المتخلفة كسباً جديداً وسوقاً استثمارية لأسياد الامس واستنزافاً لجهد المتطلعين الى غد افضل .

وابدع الاقوياء وسائل رادعة مدمرة ومخيفة ، وفتحوا ابواب مخازن سلاحهم القديم المكدس لتجارة جديدة بدل ان يلقوها الى البحر او الى الافران لتصهر حديداً !!

وصيانة هذه الاسلحة وتجديدها يحقق اغراضاً مزدوجة ، ارباحاً للصانعين واثقالا اضافية للمتخلفين وهكذا تلتهم ميزانية التسلح مايقارب ٥٠٪ من ميزانيات البلاد المتخلفة !!

ثانياً : ارض الشعوب المتخلفة قديمة استنزفت زراعتها ، دون صناعة ودون علم ، قوتها الانباتية اضافة الى عوامل الطبيعة القاسية من الجفاف والفيضان ، مما يجعل محاصيلها دون الكفاية ، بينما تستثمر الارض على احسن شكل علمي واقتصادي في بلاد المتطورين .

حتى في الزراعة يبلغ انتاج الذرة في الولايات المتحدة ستة اضعاف انتاج المساحة نفسها من الارض الافريقية او الآسيوية . وانتاج الحبوب في الهند لايزيد عن ٨ كنتال للهكتار الواحد بينما يبلغ متوسط انتاج الهكتار في اليابان ثلاثين كنتال !!

ثالثاً : لقد حولت الآلة المزرعة في البلاد المتطورة الى مصنع زراعي واصبح بامكان العامل الزراعي في الولايات المتحدة ان يزرع وعلى احسن مستوى مايعادل الخمسين فداناً بينما لايمكن للعامل الزراعي في آسيا وافريقيـــا ان يزرع وفي مستوى منخفض اكثر من فدان واحد .

العلم والآلة جعلا هولندا البلد الذي انتزع ارضه من البحر مصدر منتجات زراعية وحيوانية يصدرها الى البلاد الزراعية تاريخياً .

رابعاً : اصبح الاستثمار الزراعي بعد معرفة الاسمدة وادوية المكافحة ، على اختلاف اشكالها ، استثماراً راسمالياً مركزاً يحتاج ليكون اكثر ربحاً لأرض اكثر سعة وآلات باهظة الاثمان . فقد ركزت الثورة الصناعية ادوات الانتاج بأيد قليلة واصبح الاستثمار الزراعي مركزاً وحل بالمشاريع الزراعية الصغيرة في العالم المتطور ماحل بالصناعات اليدوية Artisanat منذ قرن ويزيد .

لقد تراجعت نسبة المزارع الصغيرة في الولايات المتحدة مابين عامي ١٩٥٥ الى ١٩٦٤ من ٤٣٪ لتصبح فقط ٤٪ من نسبة المزارع عامة . واهملت او انصهرت المزارع الصغيرة في الملكيات والاستثمارات الزراعية الواسعة لتبقى اكثر ربحاً واكثر قدرة على المنافسة .

وقد أمكن في البلاد الصناعية ، حيث لا بطـــالة بين العمال ، أن يتم هذا التركيز الاستثماري دون عواقب اجتماعية واقتصادية بل ولمنفعة الاقتصاد القومي . بينما لا يمكن أن يتم ذلك في البلاد المتخلفة . فان الفلاح الذي تطرده الآلة من ارضه عاطل عن العمل ولا مكان له . فالاصلاح الزراعي في البلاد المتخلفة هو في حقيقته اصلاح اجتماعي تفرضه ضرورات انسانية ولو أنه من الوجهة الاقتصادية البحتة لا يتفق ومصلحة الانتـــاج وتفتيت الارض واستمرار استثمارها افرادياً يؤدي دائماً الى هبوط الانتاج ولا يمكن تلافي مساوىء ذلك الا بتجميع الارض في تعاونيات وارشاد علمي . وترك المجال فسيحاً للاستثمارات الرأسمالية في البلاد المتخلفة بأن تتجه نحو المزيد من الربح بالمزيد من الارض والمزيد من الآلة يؤدي الى عواقب اجتماعية خطيرة . فان الآلة المستوردة تطرد المزيد من العمال الزراعيين الذين لا مجال لهم في الصناعة وهم عاطلون عن العمل مستهلكون وغير منتجين . ويتقاسم أرباح الاستثمار الواسع اصحاب الملكيات الواسعة واصحاب مصانع الآلات والادوية وراء البحار ، أما الفلاح فانه اجير موسمي أو عاطل مشرد .

ونتيجة كل ذلك ، ورغم رخص اليد العاملة في البلاد المتخلفة ، فان محاصيلها الزراعية ومواردها الخام تزاحمها في الاسواق العالمية منتجات زراعية افضل وأكلافها اقل تصدرها البلاد المتطورة الى البلاد المتخلفة ومعنى ذلك ان المزاحمة القاتلة قد امتدت فشملت الانتاج الغذائي وتصريفه في الاسواق .

ان التقنية الصناعية في العالم تتابع الفتح فتقضي على بعض الخامات الزراعية فان الخيوط المركبة والمستوردة قضت او تكاد على خيط الحرير والقطن والصوف والجلود وغيرهـــا من المنتجات الزراعية والحيوانية ؟!!

خامساً : تجتذب بلاد الرخاء رؤوس الاموال التي يملكها الافراد في البلاد المتخلفة هرباً من نقمة البؤساء .

وتساعد الحسابات السرية في المصارف على امتلاء خزائن سويسرا وانكلترا والولايات المتحدة بالمزيد من حصيلة ارباح النفط في الشرق الاوسط ومدخرات كبار الرأسماليين في العالم المتخلف . ويتوفر لرؤوس الاموال المكدسة هذه المزيد من الفنيين والاختصاصيين . فان عدة مئات من الشباب العربي السوري مثلاً يرفضون العودة لأوطانهم بعد اختصاصهم . ولا يمكن لهذه البلاد الناشئة ان تزاحم في اجورهـــا ورفاهها أياً من الولايات المتحدة او سويسرا او انكلترا ! ! !

حتى ان بريطانيا وفرنسا والمانيا تشكو من استنزاف الولايات المتحدة للنخبة الممتازة من علمائها وفنييها الذين هاجروا اليها بحثاً عن مزيد من الربح والرفاه في البلاد الاكثر غنى .

وتحاول البلاد المتخلفة أن تستدين او تستورد الخبراء فتدفع أكلافاً مضاعفة دون ان تحصل على ما تريد .

هجرة منظمة من رؤوس الأموال والفنيين نحو الغرب ليزيد كل ذلك في التناقضات العالمية العجيبة ! ! !

سادساً : المشكلة في الولايات المتحدة الاميركية تصريف فائض الانتاج وتخزينه ، تبلغ ميزانية شراء الفائض الغذائي والتعويض عن المزارعين الامريكيين تبلغ سنوياً خمسة مليارات وستي مليون دولار ، ويدفع مصرف الاراضي في الولايات المتحدة للمزارعين الامريكيين نقداً وسلفاً قيمة الدخل المنظور الذي يمكن ان يحصل عليه المزارع فيما اذا امتنع عن زراعة ارضه .

ان تعداد سكان الولايات المتحدة لا يزيد عن ستة في المئة من سكان العالم وتبلغ قيمة انتاجها بشكل عام (الصناعي والزراعي) ٤٠٪ من انتاج العالم .

وتقيم للسوق الأوروبية المشتركة ، الا للخاضعين لشروطها المسبقة ، الحواجز الجمركية أمام استيراد المنتجات الزراعية من بلاد العالم المتخلف .

ان الدول المتطورة قادرة على ان تمنع المتخلفين حتى من بيع محاصيلهم الهزيلة بأن تغرق الأسواق بمنتجاتها الفائضة .

سابعاً : ان الدول المتطورة متضامنة متعاونة فيما بينها بينما تعيش الدول المتخلفة عصر تناحر القوميات وتنافر المصالح المحلية فتزيد فوق ضعفها الاقتصادي ضعف موقفها السياسي لتبقى سوقاً استهلاكية للمتطورين .

ليست الوحدة العربية احلاماً في المجد والمنعة او دفاعاً سلبياً تجاه اسرائيل

لولا الوحدة الامريكية ووحدة الأرض الصينية ووحدة العالم الشيوعي والسوق الاوروبية المشتركة ولولا الكارتلات والترستات العالمية لما امكن للاقتصاد الوطني في هذه البلاد أن يزدهر وان يقف امام المنافسة .

الوحدة الاقتصادية العربية قد تضر بمصالح افراد وجماعات ولكنها ضرورة تفرضها ظروف العالم الجديد .

ان قيام التنافس في الانتاج وتكرار المصانع من اجل السوق الضيقة المحلية سيقضي على الجميع لتبقى اسواقنا مفتوحة امام السيل الجارف من وراء حدودنا القومية .

ثامناً : عمل الاستعمار خلال احتلال جيوشه للهند ومصر وغيرها من البلدان ان تبقي محاصيل هذه البلاد موحدة تعتمد على محصول واحد : الجوت والقطن في الهند والقطن في

مصر والسكر في كوبا والمطاط في اندونيسيا والقهوة في البرازيل . وكانت هذه البلدان تدفع باليمين ما تقبضه ثمناً لانتاجها باليسار وكانت سياسة المحصول الواحد تربط مصير البلد المتخلف بالمستعمرين فلا سبيل لتصريف المحصول الا بتكرم السادة بشرائه وبالاسعار التي يفرضون .

ان عجز الميزان التجاري لصالح المتطورين دائماً وفي جميع البلاد المتخلفة صورة رقمية لاستثمار المتطورين للمتخلفين .

تاسعاً : لا يزال متوسط عمر الانسان في البلاد المتخلفة عاملاً هاماً في تخلف هذه البلاد فانه يقتل الانسان في سني الانتاج . ان ٤٥ ٪ من مواليد الهند يموتون قبل العاشرة من العمر ويموت منهم قبل الثلاثين خمس وستون في المئة أي في سن الانتاج والعمل او قبل ذلك ايضاً .

وتسمع فوق كل هذه البلايا ان الانسان في البلاد المتخلفة كسول ومتواكل ويعني ذلك انه لا يستحق العيش !!!? ان هذا الانسان الذي يعاني من الجوع ونتائج الجوع ، في انخفاض قدرته على الحركة والنشاط ، والذي يرى في ضباب يومه وظلام غده قدره المحتوم ، تستوي لديه الأمور : جائع اذا عمل جائع اذا نام .

ان المشكلة المزمنة التي احتملتها الارض عبر قرون طويلة اصبحت مشكلة حادة خطيرة نتيجة للزيادة المفاجئة الثورية في الميزان الحياتي . وكذلك نتيجة لتطور التقنية السريع مما يباعد الشقة في الأعداد وفي البؤس بين المتطورين والمتخلفين .

ان توفير العناية الصحية والدوائية للناس دون رفع المستوى المعاشي لهم تعقيد لمشاكل وطنية وعالمية ايضاً . ويبدو ان نقل المعارف الصحية والطبية وتطبيقها اسهل على الشعوب المتخلفة من رفع مستوى عيشها ، فان استعمال الدواء اسهل من استعمال الآلة وصيانتهـــا والانتاج بها .

لاعلاج لمشكلة الجوع العالمي إلا بايجاد حلول لمشكلة الخبز والفولاذ « الزراعة والصناعة » . وأن تتـــكاملا وتتعاونا على مستوى عالمي ايضاً . وبلغة الاقتصاد السياسي لا بد ان يتكامل ويتعاون ثلثا العالم الجائع المنتج زراعياً مع ثلثه المنتج صناعياً والمتطور . ومن هنا مفتاح مشاكل حياة الافراد والجماعات في جميع انحاء الارض .

لقد كان التوازن كاملاً في اليابان بين الوفيات والمواليد حتى منتصف القرن التاسع عشر فلما بدأت هذه البلاد حركة التصنيع وانتهت عزلتها عن العالم تضاعف عدد سكانها ثلاث مرات خلال ٧٥ سنة . وانخفض مستوى العيش فيها بسرعة فانفجرت اليابان بسكانها وشنت حروباً استعمارية لضمان مجال حيوي لمنتجاتها البشرية والاقتصادية .

وفي الصين حيث يعيش ٧٠٠ مليون انسان امكن التغلب على وفيات المجاعات « وكانت تقدر في القرن الماضي بعشرات ملايين البشر سنويا » « أمكن التغلب على الجوع المقيم ولفترة زمنية بفضل تنظيم العمل والانتاج والتوزيع » . فحتى متى ستبقى هذه الارض القديمة جـــداً كافية لاعالة عشرات الملايين ؟ تلد الارحام سنويا ؟! وحتى متى يستمر هذا الصبر على الحرمان اذا ما عادت قصة الجوع تهدد مئات ملايينهم بالموت ؟!

يقول اللورد بويدور Boydorr ان الجوع اخطر عـــلى مستقبل البشرية من القنبلة الذرية .

لقد عرف العالم الحديث ثورتين متلاحقتين الاولى ثورة علمية بدأت في القرن السادس عشر ، وأعقبتها ثورة صناعية بدلت من مفاهيم مجتمعات التخلف الزراعي السائدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وكانت حصيلة التركيز على الانتاج الصناعي ثورة الفكر الاشتراكي والعدل الاجتماعي .

لقد كان السياج الوطني والقومي حدوداً تحفظ للبلدان المتطورة امتيازاتها . وقد حاولت هذه القوى متحالفة ومتناحرة أن تصفي العالم لحساب احـــدى الكتلتين في حربين عالميتين متتاليتين ، فلما فشلت في السيطرة التامة ورأت ازدياد قوة الرأي العام العالمي فانها تحاول اليوم أن تتماسك وتتعاون للابقاء على امتيازاتها .

حتى الثورة الصناعية التي حلت مشكلة رفع مستوى العيش في البلاد المتطورة لن تنفع في البـــلاد المتخلفة اليوم الا للدفاع السلبي امام غزو الصناعات الاجنبية . واذا ارادت ان تغزو اسواقاً جديدة فعليها عندئذ ان تتبع اسلوب الاستعمار ومناطق النفوذ التي انتهجتها قوى الاستعمار القديم في القرون السابع والثامن والتاسع عشر ولن تعود عقارب الساعة الى الوراء.

ليست كثافـــة السكان لوحدها سبباً في بؤس آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية فان بعض مناطق المانيا وانكلترا اكثر ازدحاماً من الصين ولكن تماسك هذه القوميات ودمج جهودها المشتركة جعل من مستوى العيش فيها بلاداً متطورة وأبقى الآخرين متخلفين وجياعاً .

ان الوحدة العربية وفكرة الوحدة الافريقية وأخيراً فكرة تضامن وتعاون الدول المتخلفة كما حدث في باندونغ وغيرها آمال ترقى الى درجة العقيدة بين الدول المتخلفة المتطلعة الى غد أفضل وهي السبيل الوحيد للحاق بركب المتطورين والحد من اطماعهم .

هذا على المستوى العالمي فكيف الوضع في المجال المحلي والوطني

ان الحقد الطبقي الذي نشعر به في المجال المحلي والوطني والقومي أصبح بفضل انتشار التعليم ووسائل النقل والاذاعة حقداً طبقياً عالمياً يشمل الانسانية بجميع أقطارها .

ان تناقض المصالح الطبقية في الحدود الوطنية ايضاً ، والاختلاف الكبير في مستوى

الوعي بين مجتمعات البلاد المتخلفة ، يعرقل ويكاد يوقف تطور اقتصاد هذه البلاد . انها تدخل دون ارادتها معركة الاصلاح الاجتماعي قبل ان تثبت اقدامها في الانتاج والتطوير . والثورة الاجتماعية مفروضة على اقتصاد البلدان المتخلفة ولا يمكن كبح جماحها او اقناعها بالمنطق أن تتريث حتى يزدهر الاقتصاد ليتم توزيع ما يستحق التوزيع !!!?

فالبلاد المتخلفة تواجه اليوم مشكلتين متناقضتين اقتصاد متخلف يتطلب التركيز ليزدهر ويقف امام المنافسة العالمية . وجماهير شعب محرومة تريد حقها في الحياة الكريمة على الارض الوطنية وتجعل من التوزيع العادل للدخل قضية أولى قبل زيادة هذا الدخل او تتماشى معه على الاقل .

والصورة التي رسمت للتناقضات على المستوى العالمي تنطبق تفاصيلها ايضاً في المجال المحلي الوطني :

قلة بيدها مفاتيح السلطة : العلم والمال والانفتاح على العالم تريد ان تحتكر لنفسها أسباب العيش وسواد يحاول ان يفرض العدل الاجتماعي على الأرض الوطنية .

ليس المهم في تطوير الاقتصاد رفع ارقام الدخل القومي بل النظر في توزيعه ايضا فان الدخل الوسطي بالنسبة للفرد الواحد من سكان فنزويلا المصدرة للنفط يعادل تماماً دخل الفرد الواحد في فرنسا مثلا وهو الف دولار سنوياً فهل يمكن مقارنة المستويات الثقافية والمعاشية بين البلدين ?! الفارق في الحالتين استئثار حفنة من الناس في فنزويلا بأرباح النفط وتوزيع عادل نسبياً للدخل في فرنسا .

وعلى المستوى الوطني وحتى في بلد الثراء والرفاه في الولايات المتحدة أعلن الرئيس جونسون منذ شهور ان من الواجب كفاح الفقر War against Poverty لا في العالم بل في حدود البلد المتطور ?!! لقد قال كلاماً صحيحاً من الوجهة الوطنية اذ أعلن ان صورة الفقر في الولايات المتحدة أشد ايذاء واكبر خطراً منها في اية بقعة على الارض . فقد اعتاد الانسان الآسيوي والافريقي أن يعيش الفقر والجوع ?!! ولكن مشاعر الانسان المحروم في البلد الغني تكون لاهبة وقد تدفع بالانسان للاجرام . « علماً بان ما يراه الامريكي جوعاً هو عند الآسيوي الافريقي التخمة بعينها » . لقد قدر الرئيس جونسون عدد فقراء الولايات المتحدة بـ ٢٥ مليون انسان .

والسؤال اين أمل البشرية بالخلاص ? :

ان محاولة اقناع العامل في البلاد المتطورة او صاحب المصنع او البنك ان يتنازل عن ارباحه وعن رفاهه من اجل الاخوة الانسانية تعادل تماماً محاولة اقناع العامل الآسيوي الواعي بأن يرضى ويهنأ بجوعه وعريه وربما كانت مهمة اقناع الجياع أسهل من الحد من جشع المتخومين?!

لقد اضطرت الولايات المتحدة الامريكية للتدخل في توجيه الاقتصاد الوطني بعد أزمة عام ١٩٢٩ وعجزت المانيا عام ١٩٣٩ عن حل مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية فشنت حرباً او حربين عالميتين من اجل المجالات الحيوية واليوم تقوم الحرب الباردة على دعامتين :

١ – الحرب بين الرأسمالية والاشتراكية .

٢ – محاولة اقناع العالم الثالث بامكانية حل مشاكله بأحد هذين النظامين ؟! افلا تستحق معضلة العالم الكبرى قيام منظمة ذات سلطان لتتدخل في تنظيم شؤون العالم المضطربة !!؟ وذلك بديلا عن الحرب التي ستأتي على الحضارة الانسانية بكاملها .

ان عرض مشكلة التناقضات العالمية وايضاح خطوطها الكبرى والتركيز على مكامن الاخطار فيها دعوة تصدر عن جميع الهيئات والمنظمات الوطنية والدولية في البلاد المتطورة قبل المتخلفة .

ويبدو الخلاف حاداً بين مذاهب الاقتصاد السياسي لايجاد الحلول المناسبة للمعضلة الانسانية الكبيرة فبينما تدعو الدول المتطورة لتحديد النسل كوسيلة لمعالجة مشكلة الجوع العالمي وتؤكد ان العدد المناسب لامكانيات الارض لايجوز ان يتجاوز رقم ٧٠٠ – ٩٠٠ مليون نفس Pendell و Peerson وهذا يعني ان لامكان على الارض للمتخلفين ؟!

يرى النظام الاشتراكي ان الجهد يجب ان يركز لتنظيم وزيادة الانتاج الصناعي والزراعي وتنظيم المبادلات على اساس الحاجة والتكامل لا الربح .

واساليب الاشتراكيين للوصول الى ذلك مختلفة ايضاً : يرى الذين وصلوا او القادرين على التنافس مع الدول المتطورة ان التفاهم والسبل الديمقراطية ستؤدي الى الغاية المرجوة ، بينما يرى المتخلفون الذين لايزالون بعيدين عن ادراك مستوى يمكنهم من الصمود ، ان في نزع السلاح والتطوير السلمي خيانة لمبادىء الثورة العالمية التي لابد وان تؤكد على حتميتها في الصراع بين الجياع والمتخومين !!؟

يقول الغربيون ان مصدر الخطر زيادة الانسال في البلاد المتخلفة وان على السلطة الدولية ان تعمل للحد من هذه الزيادة التي تهدد نعيم المترفين . فمتى كان للقوانين سلطان على فراش الانسان وانسله ؟!؟ ويرى الشرقيون في هذه المشكلة موضوعاً يحتم ضرورة الثورة ويقرب يومها كلما ازدادت المشاكل تعقيداً .

في رأي المؤرخ البريطاني توينبي ان عدد الحضارات التي مرت على الارض منذ سكنها الانسان بلغت واحداً وعشرين حضارة تعيش اليوم واحدة منها .

وكانت هذه الحضارات من صنع الانسان ومن اجل ضمان حاجات جديدة تنسجم مع

اوضاع المجتمعات المتبدلة . لقد زالت هذه المدنيات عندما اخفقت في تحقيق مثل جديدة ولدت حاجات جديدة .

فنحن نواجه غداً مصير حضارتنا فاما انها الى زوال وقد فشلت في ضمان الخبز للذين وفر لهم الطب حياتهم ، او ان تنسجم مع ظروف البشرية الجديدة فتقيم بارادتها مجتمع الوفرة والعدل والسلام .

ان مصير الانسانية واحد كوجودها على كوكب واحد .

اني ارى بان التهديد الذي واجهته بعض الانواع الحيوانية على الارض : الثور الأمريكي ، الاسد الافريقي ، الخرتيت وعدد كبير غيرها من الحيوانات التاريخية ، والذي يكاد يقضي عليها نتيجة لاستصلاح الارض والبندقية والسيارة .

اني ارى ان عوامل الفناء هذه ، الخارجة عن ارادة القطعان الحيوانية ، تهدد الصياد الانساني في قطيعه البشري بالفناء اذا استمر غير واع او تعامى عن رؤية التناقضات وبذور الخطر التي تهدد مستقبله على ارضه .

فان تكاثر بعض الانواع الحيوانية ظاهرة طبيعية معروفة في علوم الاحياء . يتكاثر الجراد لاسباب لازال نجهلها وترتمي اسرابه في البحر وكأنها تنتحر ، وكذلك تتكاثر انواع من الاسماك والفأر في كندا وتتجه بلايينها نحو البحر منتحرة ايضاً . فهل ينتحر الانسان بقبضة يده وبعد ان دالت له قوى الطبيعة ففجر ذرتها وتسلق فضاءها ! ! يسوقه قدره الى مصيره المحتوم كغيره من الاحياء ؟!! ام انه سيؤكد انه متميز عن الآحياء الاخرين لا بالنطق بل بالمنطق والادراك ؟!؟

ولنناقش هذه الاحتمالات :

اذا حدثت حرب نووية عالمية فسيؤدي ذلك لنقص اكيد في عدد سكان الشعوب المتطورة قبل المتخلفة لان التركيز سيكون على الاقوياء لا على الضعفاء ان القاء ٢٥٠ قنبلة حرارية نووية Thermo nucléaire على الولايات المتحدة « وقدرتها المخربة تبلغ ١٥٠٠ ميكاتون من المتفجرات » يقضي بالموت على ٥٠ مليون انسان و ٢٠ مليون جريح « تقدير لجنة من الخبراء الامريكان عام ١٩٥٩ » .

وماربح الانسانية من ذلك سوى الدمار الشامل .

ان حربين عالميتين متتاليتين زادتا من تعقيد مشاكل العالم ولم توجد لها حلولا . ونحن نشهد في السنوات الاخيرة ادراكاً اعمق واشمل لمعضلات العالم الانسانية .

البديل عن الحرب المدمرة الشاملة تعاون دولي في اقامة عدل انساني في اوسع مفاهيمه يرفع من مستوى العيش في البلاد المتخلفة ويقيم اسساً عادلة للمبادلات .

البديل الوحيد عن الحرب التعاون الدولي على الارض وقيام هيئة تهيمن على توزيع الفائض من الغذاء حيث تدعو الحاجة اليه ، هيئة توازن وتحكم بين الكتل الكبيرة . هيئة تبدي المشورة في الحد من زيادة الافواه الجائعة التي تهدد الجيران القريبين والبعيدين أيضاً .

ان في نجاح الانسان باستخدام الطاقة الذرية لتحويل مياه البحار اقتصاديا الى مياه حلوة تنفع في قلب الصحاري الى مزارع ، وفي استخلاص الغذاء من البحار التي تغطي ثلاثة أرباع الكرة الارضية آمالاً عريضة تبشر بغد أفضل للبشر جميعاً .

يقدر الخبراء ان المستثمر من ثروات البحر لايزيد حتى الآن عن $\frac{1}{100}$ من ثروتها الحقيقية .

ان الفكر العالمي وفي البلاد المتطورة بشكل خاص يركز على وحدة مصير الانسانية ويبشر بقرب قيام تعاون عالمي يفتح صفحة جديدة من التاريخ البشري . ولنترك التاريخ بعد ذلك يقرر البقاء للأصلح لا للأقوى فان ترك الجبل على غاربه هو عودة لشريعة الغاب التي دمرت العالم مرات عديدة عبر التاريخ .

والمعضلة الكبرى الحقيقية والتي هي مفتاح السلام في العالم هي في امكان استبدال « أنا » الغريزية « بنحن » وتعني الجنس البشري دون تمييز في اللون او الجنس او العرق او أية تفرقة أخرى .

لقد تنازل الانسان عن معنى « الأنا » الضيقة عندما انتظم في الاسرة والعشيرة والطائفة والقومية ، فهل يخطو بجرأة ، ويتجاوب مع واقع العالم الذي يزداد صغراً ، فينتهي الى غير عودة قلق الخائفين وجوع المحرومين .

وأخيراً هذه هي صورة المعضلة الانسانية الكبرى في حدودها العالمية والوطنية فما هي ابعاد وأعماق هذه المشكلة نسبة لبلادنا العربية :

تختلف حدة مشكلة زيادة السكان باختلاف الاقطار العربية ، انها حادة نسبة للقطر المصري ولكنها غير ظاهرة الاثر حتى الآن نسبة للاقطار الاخرى .

تعود اسباب زيادة الانسال في البلاد العربية الزواج المبكر خاصة ، ونتيجة للتمسك بمفاهيم وتقاليد من المسير جداً الا مع الزمن تغييرها . فان عقم المرأة مثلاً عار كبير يستوجب الطلاق والعزوبة مظهر غير طبيعي فان نسبة النساء العازبات في سن ٣٠ تتراوح في البلاد العربية بين ١٠ – ٢,٦ ٪ وبمقارنة هذه الارقام مع بلد اوروبي كالسويد مثلاً حيث تبلغ هذه الارقام ٢١,١ و ٢٠,٩ ندرك الفارق الكبير فلا وجود للبطالة في وظيفة الانسال !

يتراوح متوسط سن الزواج للنساء في البلاد العربية بين ١٥ - ١٩ بينما يبلغ هذا المتوسط في البلاد الاوروبية ٢٥ - ٣٤ . اي بزيادة خمس سنوات . ونتيجة لذلك فان نسبة الولادات في تونس تزيد ٣٠ ٪ عنها في السويد وتصل هذه الزيادة حتى ٥٠ ٪ في المغرب . ووفيات الاطفال تدفع الأهل الى زيادة المواليد . ولا تزال هذه الوفيات تبلغ وسطياً ٢٠ ٪ من الولادات في السنة الاولى من عمرهم .

ان من الاسباب البارزة لزيادة الأنسال ، في البلاد العربية والاسلامية عامة ، الطلاق والزواج فان فراق الزوجين لا يتركها في العزوبية بل ان كل منها يتزوج مرة ثانية وينجب . وهذا يجعل الأخصاب مستمراً . ولم يعد تعدد الزوجات سبباً هاماً للأنسال الزائد فقد اصبح نادراً لا تتجاوز نسبته ١ - ٢,٥ ٪ فقط من الزيجات . ورغم الصعوبات القانونية في تعدد الزوجات في بعض البلاد العربية فان الزواج بعد الطلاق امر شائع ويكاد يكون حتمياً للزوجين .

ظواهر للتحول في المجتمع العربي :

ان التحول اكيد في تغيير المفاهيم نتيجة للتطور العلمي والاقتصادي ، واثار التشريع والارادة الفردية لا تزال محدودة في هذا المجال .

فان زوال آثار التفكير العشائري ، والهجرة للمدينة ، وسيادة فكرة الأبوة العائلية Famille Patriarcale (١) والوعي المتزايد في التطلع لحياة افضل ، اي تراجع فكرة التواكل وعدم الاهتمام بمصير الطفل ، كلها ظواهر تبدو واضحة في تغيير قواعد المجتمعات العربية .

ففي المغرب مثلاً ، حيث تظهر طبقة جديدة من العمال ، لا يزيد متوسط عدد الاطفال في العائلة عن ١ - ٢ في مدينة الدار البيضاء . وكذلك تتراوح نسبة العزوبية بين عمال المناجم المغربيين بين ٦٠ - ٣٠ ٪ منهم وهذا يناقض تماماً ندوة العزوبية في المجتمعات الزراعية القروية في المغرب نفسه .

تحديد النسل في البلاد العربية

ان اهتمام خطط التنمية بمكافحة الامية والبطالة والاصلاح الزراعي والتصنيع يستلزم في نفس الوقت ، معرفة عدد المنتفعين من نتائج هذا الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي . وزيادة الانسال معضلة خطيرة بالنسبة لبعض البلدان العربية التي تستهلك وتستنفد كل امكانيات هذا الاصلاح باملاء الافواه الجديدة المتزايدة الجائعة .

---

(١) ان الولد في المجتمع العشائري ينسب لأخواله أي لأمه لأنها الاثبت في حياة الطفل بينما الأب شيء عابر في حياة العائلة .

يعاني القطر المصري بشكل خاص من الزيادة المتسارعة في عدد سكانه ، وتهدد هذه الزيادة بفشل جميع محاولات الارتفاع بمستوى المعيش « تبلغ هذه الزيادة في الوقت الحاضر نصف مليون انسان سنوياً » .

وهكذا وضعت خطة تنظيم الاسرة « Birth control » .

وقد كان موقف السلطات الحاكمة قبل ١٩٥٣ موقف المتفرج « Laissez faire » وكذلك كان موقفهم نسبة للاقتصاد . وبعد الثورة المصرية تألفت هيئة استشارية اعلنت رأيهـــا عام ١٩٥٤ وأكدت فيه ضرورة الاهتمام بمشكلة الزيادة الكبيرة في السكان .

وشجع مصر على اتباع هذا الطريق ما اتخذته الهند والصين « وهي تواجه مشاكل مشابهة » من اجراءات في هذا السبيل .

وأعلن بعد ذلك الشيخ رضوان أحمد رضوان انه اذا لم يتمكن المسلم من تنشئة طفل مكتمل الجسم والعقل فان عليه ان يحد من عدد اطفاله ، وان من حق كل مخلوق ان يجـــد كفايته من الغذاء والكساء وان طفلين مكتملين خير من عشرة مشردين وجياع » .

وفي شهر مايس عام ١٩٥٦ قررت الجمهورية المصرية تنظيم الاسرة واوجدت ستة مراكز للقيام بذلك في المدن والمناطق الاشد ازدحاماً بالسكان حيث يجري فيها الاجهاض القانوني ، بعد بحث طبي واجتماعي ايضاً . كما تستقبل هذه المراكز المراجعين لارشادهم الى السبل المانعة لتكرار الحمل واستعمال مانعاته وزيد عدد هذه المراكز لتصبح ١٢ مركزاً عام ١٩٥٧ وزيدت في العام الحالي الى مئة مركز .

وكان ان وجهت مصر بعد ذلك اهتمامها ايضاً الى كسب معركة التصنيع والتعليم من اجل تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية . وبالتالي التأثير على زيادة الانسال بالاضافة الى مراكز تنظيم الاسرة وادخلت مانعات الحمل بأسعار زهيدة وخاصة انواع من الحبوب توزع مجانا للعاجزين عن شرائها .

وشرعت تونس تمنع تعدد الزوجات وتقيد الطلاق بحكم قضائي وتحدد سن الزواج للبنات.

ان جميع هذه المحاولات والتشريعات ستبقى عديمة الجدوى اذا لم يرتفع مستوى الوعي عند المرأة ، واذا لم تتطور الامكانيات المادية والفكرية للسواد من الناس في القرية وفي المدينة على السواء وعسير علينا في الوقت الحاضر ان نعرف مدى التوفيق في كسب معركة رفع المستوى المعاشي بين الزيادة في الدخل القومي والزيادة الاكبر في الافواه الجائعة .